الأحلام
فى التحليل النفسى والإسلام

هل يوجد بيننا من لا يرى أحلاماً فى منامه؟ هل صادف ورأينا شخصاً ما لم يمر بتجربة رؤية شيئ فى منامه؟ كم من الأشخاص الذين نجدهم مشغولى الفكر وشغوفين بما يرون فى منامهم من كوابيس كانت أو أحلاماً عادية؟

أحمد يوسف العواقى
اخصائى نفسى اكلينيكى

إن إجابة ما سبق من تساؤلات تعد من البديهيات إذ إنه لا يوجد من لا يرى الأحلام أو الرؤى أو الكوابيس فى منامه، كما أننا نرى عدداً أو شريحة عريضة من الناس تشغلهم أحلامهم بدرجات متفاوتة حتى أننا قد نرى البعض قد تتأثر سلوكياتهم بما يرون فى منامهم وكثيرهم أولئك الذين تتأثر حالاتهم الوجدانية بانطباعاتهم عما قد شاهدوا فى منامهم بشكل ملحوظ، حتى أننا لا نجد الأحلام تمر مرور الكرام فى حياتنا فبعضنا من يعتبر الحلم بمثابة إشارات ربانية للإقدام أو الإحجام عن أمر ما، والبعض يعتبر الأحلام دلالات إكلينيكية للحالة النفسية للفرد، وإذا نظرنا نظرة سريعة على مثالين لشخصين ما، أحدهما استيقظ من نومه على حلم يراه حلماً سعيداً والآخر استيقظ على كابوس، ولاحظنا استجابات وسلوكيات كلا الشخصين خلال يومه ولاحظنا انطباعات كلا الشخصين عما قد رأى فى منامه، لأجابنا الاختلاف بين كل منهما عن أهمية ما يرى النائم فى نومه.

ولما كانت الأحلام على ذلك القدر من الأهمية فى حياتنا انقسم الناس فى محاولات تأويلها وتفسير معانيها إلى فريقين..

■ **الفريق الأول:** الذين يحاولون أو يعتقدون أن الأحلام هى إشارات ربانية أو تدخلات شيطانية فى منام الشخص، وتجد ذلك الفريق دائماً يفسر الأحلام على أساس عقائدى بحت، لذلك سنسميه فى هذا المقال (الاتجاه العقائدى فى الأحلام) وعلى رأسهم الإمام محمد بن سيرين.

■ **أما الفريق الثانى:** فهم من يرون فى الأحلام دلالات سيكولوجية ومؤشرات لصراع ما يدور فى مكونات شخصية الفرد أو تعبيرات عن ضغوط حياتية تظهر بشكل أو بآخر أثناء النوم ويستخدمون بعض ما يرونه فى الحلم كرموز لأشياء أو أحداث مؤثرة فى الشخصية ونسمى هذا الفريق (أصحاب الاتجاه السيكولوجى فى الأحلام) ومن أشهرهم فرويد والسيكولوجيون المحدثون.

وهنا تساؤل ـ من نتبع فى معرفة أحلامنا: أصحاب الاتجاه العقائدى أم أصحاب الاتجاه السيكولوجى؟ خصوصاً أن أصحاب الاتجاهين قدم ما يثبت صحة أفكاره وآرائه، فالعقائديون مثلاً أحياناً ما يفسرون الأحلام على أنها إشارات لأحداث قادمة معتمدين فى ذلك على بعض الأحاديث وآيات القرآن الكريم فيتأكد صدق تأويل الرؤيا فعلاً، كما أن آيات القرآن الكريم لا تخلو من ذكر أحلام الأنبياء مثل رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا إبراهيم عليه السلام ورؤيا ملك مصر فى عهد يوسف عليه السلام، بل إنها وردت فى القرآن الكريم كحدث مؤثر فى حياة بعض الأنبياء، كما وردت كتكليف من الله عز وجل لأنبيائه، ونرى أصحاب ذلك الاتجاه يتخذون قواعد وضوابط فى تفسيرهم للأحلام.

أما الاتجاه السيكولوجى فقد أثبت من خلال محاولات فرويد ويونج وغيرهما أن الحلم قد يكون أهم أنشطة اللاشعور وأنه بالضرورة أن يكون ذا دور حيوى فى الصراعات التى يمر بها الشخص، كما استخدم السيكولوجيون الأحلام فى علاج بعض حالات الهستيريا، واستخدم الحلم كدلالة للسلوك أو كمؤشر لبعض السلوكيات والمشاعر بل إن نظرية التحليل النفسى (وهى من أشهر نظريات علم النفس) تعتمد على تفسير الأحلام كركيزة أساسية فى ديناميات الشخصية وكمسلمة من مسلمات العلاج النفسى، مما يزيد من حيرة الذين لا يختصون بذلك الأمر فكيف يجد الشخص العادى التفسير الأمثل لما يراه فى منامه خصوصاً أن كثيراً من الأحلام لا يعبر عن معنى دينى أو روحانى، وكثير منها لا يقع فى دائرة المؤشرات أو الدلالات السيكولوجية.

من هنا عزيزى القارىء توصلنا لفكرة بعد استخارة الله تعالى أن نحاول تفسير الحلم بالاستعانة بآراء وأسس الاتجاهين العقائدى والسيكولوجى، فصحيح أن كثيراً من الأحلام ليس تأويلاً عقائدياً وصحيح أن كثيراً منها ليس له تفسير نفسى ولكن الأغلب والأعم أنها لا تخرج فى معناها عن أحد الرأيين. لذلك نرى أن التفسير أو التأويل الأمثل لما نراه فى النوم هو الأخذ بكل من الاتجاهين.

ملحوظة: نعدكم فى العدد القادم أن نقدم للسادة القراء شرح كيفية تكوين الحلم.. والمدلولات العقائدية لرموز الأحلام.